

## لبنان بين سنة ٢٠٠٠ و ٢٠٠١

### بقلم الكولونيل شربل بركات

أكملت سنة ال ٢٠٠٠ سيطرة السوريين على لبنان بعد أن كانوا قد أزكوا نار الحرب طيلة ٢٥ سنة تمزق البلد خلالها وتشردم حتى لم يبق موضع لم يسق بالدم ولا بيت لم يدفع ضريبة البقاء

أكملت سنة ٢٠٠٠ الاحتلال بعد أن كان السوريون فرضوا أزمهم ونظامهم وأجهزتهم تحصي أنفاس الناس، وفرضوا الخوات في طول البلاد وعرضها وفتحوها أمام أفواه أبنائهم الجائعة لتتزع اللقمة من أفواه أبناء البلد.

أكملت سنة ٢٠٠٠ الهيمنة السورية وفرضت التطرف صورة للبنان، والإرهاب شعاراً له، والتزمت والتعصب طرق التعامل بين أبنائه بدل أن يكون التسامح والانفتاح والإشعاع الحضاري والتعايش الطبيعي لهؤلاء مثلاً يحتذي به في العالم أجمع.

أكملت سنة ال ٢٠٠٠ إفراغ البلاد من أهلها وزاد التهجير في آخر موجة "تحرير" حررت الأرض من بنيتها وأفرغتها من أصحابها ومنعتها عن الدولة لتصبح مجدداً واجهة لصراع إقليمي وكأنما لم يكف لبنان صراعات لم يعد يحلم بها حتى العرب أنفسهم وقد كلفته ربع قرن من التمزق والتخلف والتقاتل وهدمت كل ما عمره الأهل من بنى اقتصادية واجتماعية ولطخت صورته الحضارية حتى أصبحت اللبنة التي كانت يوماً طريقة لحل مشاكل التعددية الحضارية مرادفاً للقهر والإذلال والإرهاب والتفرقة.

أكملت سنة ال ٢٠٠٠ طرد الزعماء وسجن الرموز وقهر الأهل وتمزيق المجتمع نهائياً لتُظهر للناس أن سوريا وحدها تمنع خراب البلد وتوقف الانهيار والعودة إلى التقاتل.

لكن سنة ال ٢٠٠٠ أخذت بطريقها رمز وحدة سوريا والحكم العلوي القوي فيها، وأخذت منها أيضاً ذريعة إسرائيل واحتلالها للأرض، وأخذت منها الخوف الذي طالما عملت على فرضه نظاماً في لبنان.

وسنة ال ٢٠٠٠ أظهرت هشاشة مقولتها أنها عنصر الاستقرار في لبنان فالأفواه لم تعد مكسومة، والرموز ها هي تجاهر بالحق وتضع الإصبع على العلة، والشعب تحرك مجدداً بالاتجاه الصحيح، وصارت الانتقادات لدمى الحكم كلام الناس اليومي ورفض الهيمنة والاحتلال مطلب الأكثرية، وها هم الزعماء والصحافيون ورجال الدين والحزبيون والطلاب والنقابيون يبدؤون التملل الذي كان ممنوعاً والذي يبشر بالطوفان الشعبي الذي سيعيد صورة لبنان الحقيقية إلى أذهان الناس، صورة الشعب الذي لا يقهر، صورة طائر الفينيق الذي يقوم

من رماده، صورة "جبال الصوان" التي لا تتكسر عزيمة أهلها ولا يقدر أحدٌ على فرض سلطته وذلك عليها.

وسنة ال ٢٠٠٠ هي سنة الشؤم للجنوبيين المقهورين في بيوتهم وفي مفاهم وفي سجون السلطة الظالمة التي جعلت رموز الوطن مرادفاً لأدوات الاحتلال وأجهزة الدولة وسائل لقهر المواطن وها هو يُخرَجُ الدفعة تلو الأخرى من الجلادين الذين يمارسون التعذيب في "الباستيل الجديد" ويتفننون في ذلك تحت إشراف أساتذة "المزة" و"فناني" تدمر" الذين لا شك تسري فيهم بقايا من دماء "هولاكو" و"تيمورلنك". ولكنها في نفس الوقت أعادتهم إلى الوطن الممزق ومشاكله ليصبحوا بعد كل المعاناة صورة عن الشهادة الحقة في سبيله وليس وسيلة لأي محتل أو طامع في إمبراطورية استعمارية جديدة على الطريقة الفارسية القديمة المتسترة بالإسلام كما المماليك أو الأتراك الذين أذاقوا الشرق من القهر والذل ما لم يذقه في تاريخه وأعادوه إلى عصور التخلف والرجعية بعد أن كان منارة للحضارة والعلم والمعرفة.

فسلام للجنوبيين في المنفى الذين يحلمون بالعودة المشرفة إلى بيوتهم وقراهم، إلى الأرض التي سقوها بدمائهم، إلى قبور شهدائهم التي دنسها الغي فجرح طهارتها.

سلام لهم وهم يُعيدون لأول مرة بعيداً عن الوطن ويتألمون لمصيره.

سلام للذين منهم يقبعون في سجون السلطة ويعانون من التعذيب والقهر.

سلام لشهداء الباستيل الجدد الذين يعطون فكرة واضحة عن وحدة الجنوبيين الحقيقية في استشهاد ابن ميس الجبل كما ابن رميش وابن القليعة في هذه السجون وفي معاناة أولاد عيترون وبننت جبيل والناقورة وحاصبيا إلى جانب أبناء دبل وعين إيل وعلماء ومرجعيين.

سلام للجنوب الذي وحّد الوطن وأعطى صورة عن حقيقة أبنائه في ظل الاحتلال "الشقيق" الذي فرق وحدة الأبناء وفرض التقاتل بين المناطق والطوائف والأحزاب والفئات ليبقي احتلاله ويبرر هيمنته ويوسع استغلاله فيبتز العالم بواسطة الأغبياء من اللبنانيين وينشر حقه وسمومه ويجعل من جنوبه مركز الإرهاب ومن بقاعه مركز المخدرات ومن بيروت رمز القهر والتخلف والظلم بعد أن كانت رمز العدالة والحرية والحق.

وسلام إلى الصامدين في الجنوب المعذب الذين يتحملون وصاية الإرهابيين وثقل سيطرتهم، الذين يكافحون للقمة عيش سلبت منهم وقد كانوا يمدون الوطن بالرفاه الذي نعموا به ويعطون المثل لحسن التنظيم الذي سهّل حياتهم لكنهم أعادوه اليوم إلى عصور التبعية والاستجداء.

وسلام لكل اللبنانيين المنتشرين في بقاع الأرض ليحسّنوا بجهدهم مستوى عيشهم ويحافظوا على قدسية حرمتهم وعلى البذرة الصالحة لحقيقة حضارتهم.

وسلام للزعماء في الداخل والخارج الذين يناضلون لتحرير البلاد ويشكلون الضمير الحي إن لم يكن القيادة الحكيمة.

وسلام لكم أيها الأحرار أيها الشباب في قرى الوطن المنشورة على تلاله وحناياه، في مدنه  
المكتظة بالعيون الغربية التي تحصي الأنفاس، في الجامعات والمدارس، في الطرق والمعامل،  
وفي كل مكان.

سلام للرجال والنساء الذين ينتظرون الفجر ويحلمون بالوطن الحر السيد القادر والذي يرسم  
المستقبل لبنيه ولا يتنازل عن حقه لأحد "شقيق" كان أم صديق، غريب كان أم عدو.  
سلام لكم في بداية هذه السنة ودعوة لصلابة أكثر في المواقف ووضوح أشد في الطروحات  
وإصرار على عدم الخوف من المواجهة مع سلطة تنتكر للوطن يوماً وتلاحق أبناءه من أجل  
المحتل وتعذب أهله لرفضهم الذل والإذعان.

سلام للمفكرين الذين بدأوا يرسمون أطر النضال الجديد ويبشرون بوحدة أوسع تحرر البلد  
وتسعى لخير بنيه.

وأملنا أن تكون هذه السنة سنة خير للوطن يطل عليه فيها الفجر الذي طالما انتظرناه فيعيد له  
إشراقه ودوره الحضاري لنعتز به ونفاخر أينما كنا وحيثما حللنا.

ودعاؤنا إلى الله في العام الجديد أن نعيد والوطن قد تحرر والشعب قد توحد فلم يبق مظلوم  
في سجن ولا معذب أو مقهور وأن يعود الزعماء من السجون أو المنفى مكاليين بالغار  
تستقبلهم الجماهير المحتشدة بمواكب النصر وأناشيد الفرح.  
وكل عام وانتم بخير.